**المحاضرة 2 في النقد القديم .س 1 .مج 2 . أ. مباركي . عمود الشعر.** إذا كان عمود الشعر في بعض الكتب النقدية الحديثة هو الشعر الذي يلتزم الوزن الواحدة والقافية ’ فإنه في المصادر القديمة لا يعني فقط هذين العنصرين ( بل لا يعدان شيئا أساسيا في الشعر ), إنه سير على نمط العرب في نظم الشعر , ولم يبحث هذا العمود بحثا دقيقا ومفصلا لانعدام المنهجية و ترتيب الأفكار , فكانت عبارة عن أفكار مشتتة , ولعل " **موازنة**" الآمدي و " **وساطة** " القاضي الجرجاني و**" شرح ديوان حماسة أبي تمام**" للمرزوقي أكثر المؤلفات حديثا عن هذه المسألة. أقدم من انتبه إلى طريقة العرب في النظم هو الآمدي في موازنته بين أبي تمام و البحتري , لكنه لم يحدد قواعد العمود ,إنما أـشار إلي طريقة النظم ,فالبحتري عنده سار على طريقة العرب القدماء أما أبو تمام فخالفها دون أن يغير في طبيعة الشعر والنظام الهيكلي للقصيدة وشار صاحب الوساطة على نهج الآمدي في تقويم شعر المتنبي وأشعار الآخرين . لجأ الآمدي إلى المتوارث القديم ليجعله **مقياسا** وفيصلا في الحكم على أصالة أبي تمام أو زيفه فمحاولات الشاعر في ابتكار **الجديد** و الخروج على أسلوب القدامى لم تحقق نجاحا ذا تأثير في تطور بنية العمل الأدبي إذ كانت معظم هذه المحاولات ضربا من **العناية بالشكل** و إسرافا في التأليف والتزويق . و تقوم موازنته على اشتراك الشاعرين في الزمن والغرض الشعري , وفضل الواحد عن الآخر من خلال سرد حجج الفريقين المتقابلين , وعلى الرغم من ادعائه الإنصاف حين عرض حجج أنصار الشاعرين , فإنه لم يتجرد من الهوى ولم يكن وسيطا بين خصمين بل طرفا من أطراف المعركة الدائرة بين المحافظين و المجددين , نقل أراء المتخاصمين بكل ما فيها من قسوة و تحيز وافتراء على الحقائق أحيانا . أعلن أن أبا تمام من أنصار المعاني و البحتري من أنصار الأسلوب ز بين في مآخذه على أبي تمام أن سوء التأليف و رداءة اللفظ يذهبان بطلاوة المعنى الدقيق و البعيد , أما حين أشار إلى البحتري , استند إلى أراء الناس فيه و تتلخص في ديباجة شعره لحسن التأليف و براعة اللفظ من حيث النظم و الموسيقى ,لذلك فإن الكتاب والشعراء المطبوعين و أهل البلاغة و الأعراب اثروا البحتري و الذين فظلوا أبا تمام فهم أهل المعاني و الشعراء و أصحاب الصنعة و البديع ومن يميل إلى فلسفي الكلام , ومن خلال تقديم هذه الآراء مال الآمدي إلى أنصار البحتري الذين يفضلون الشاعر غير العالم على الشاعر العالم بخلاف أنصار أبي تمام, و يصرح أن " **البحتري أعرابي الشعر مطبوع وعلى نهج الأوائل وما فارق عمود الشعر ... وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام**". أما عن أبي تمام يقول **" لا يشبه أشعار الأوائل ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة و المعاني المولدة**" وهو غامض في معانيه ويبدو رفض الآمدي للثقافة في المعاني أساسا في الشعر . ولشعر أبي تمام سيئة أخرى كونه مليئا بضروب الطباق والجناس وهي من الأمور المستحدثة من حيث الكثرة . و الآمدي في مقدمة كتابه لم بضع قواعد لهذا العمود إنما أشار إليها أثناء نقده و تعليقه على الأبيات منها : شرف المعنى و صحته وجزالة اللفظ و استقامته و المقاربة في التشبيه و الإصابة في الوصف , و لم يتخلص الآمدي من الذوق الانطباعي و الأحكام التأثرية , وكان نحويا يعني بالخطأ والصواب و يشغله الأسلوب من حيث سلامة الصياغة من الركاكة و الابتذال أكثر منه ناقدا فنيا . و قد نهج **الجرجاني** طريقته دون أن يبين علاقة المتنبي بعمود الشعر , وقد حدد هذا الأخير حين وازن بين أبيات للمتنبي و أخرى لبعض الأعراب وقال **:" و كانت العرب تفاضل بين الشعراء في الجودة و الحسن و شرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته , و تسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب وشبه فقارب , و لمن كثرت سوائر أمثاله و شوارد أبياته , ولم تكن تعبأ بالتجنيس و المطابقة إذا حصل لها عمود الشعر و نظام القريض** " . و تعصب الجرجاني لطريقة القدماء يثبتها قوله بأن الإفراط مذهب عام في المحدثين . أما **المرزوقي** فقد ثبت مفهوم العمود وحدده في سبعة أبواب , و باعثه في ذلك ما ألفه أبو تمام من شعر , و عالج المرزوقي الكثير من القضايا النقدية منها : مسألة اللفظ والمعنى , والعلاقة بين الشعر و النثر ولم يدخل الوزن والقافية في أبوابه لكونهما عمودين أساسين في الكلام لا يخرج عنها الشاعر , و فضل المرزوقي يتمثل في حصر هذه الأبواب وجعل لكل باب معيار ومقياس ومن يلتزم بها جميعا فهو الشاعر المفلق : " ...**فهذه الخصال هي عمود الشعر عند العرب فمن لزمها و بنى شعره عليها فهو المفلق العظيم و المحسن المتقدم , ومن لم يجمعها كلها فبقدر أسهامه منها يكون نصيبه من التقديم**". \_**الأبواب**:1 - شرف المعنى و صحته \_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_ العقل 2 - جزالة اللفظ واستقامته \_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_الذوق 3 - الإصابة في الوصف\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_الذكاء والتمييز 4 - المقاربة في التشبيه \_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_الذكاء والتقدير 5- التـام أجزاء اللفظ على تخير من لذيذ الوزن \_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_الطبع واللسان 6 - مناسبة المستعار منه للمستعار لها \_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_الفطنة 7 - مشاكلة اللفظ للمعنى \_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_الدربة والمران **التحليل** : - شرف المعنى وصحته : لم يتناول القدماء في أشعارهم المعاني المبتذلة على عكس العباسيين الذين نزلوا بالشعر إلى طبقات المجتمع المختلفة وتناولوا معاني سافلة ومبتذلة , كما اشترطوا أن يختار الشاعر الصفات المثلى إذا مدح أو وصف ولا يجب أن يأبه بالواقع , كذلك تحري الدقة وعدم الوقوع في الأخطاء . - جزالة الألفاظ واستقامته :ترتبط الجزالة بعدم الابتذال و السوقية حيث يكون اللفظ مفهوما لدى العامة لكنه غير مستعمل في محاوراتهم , ومن شروط استقامة اللفظ تجانسه مع غيره من الألفاظ في البيت , ولهذا أعابوا قول مسلم بن الوليد: فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة يثني عليها السهل و الأوعار وقالوا بأن المفروض أن يستعمل الوعر لأنها الأنسب للسهل . بينما استخدم ألو تمام و أصحابه الألفاظ استخداما جديدا و المعجم اللغوي أصبح أكثر ثراء , ولم يكتفوا بالمفهوم اللفظي للكلمة بل تجاوزوه إلى المفهوم العقلي وذلك لطبيعة الشاعر العالم باللغة فنحن أمام شاعر مثقف. - الإصابة في الوصف ويرتبط بالصدق و الصحة. - المقاربة في التشبيه ومناسبة المستعار منه للمستعار له: هي المقاربة الحسية بين طرفي التشبيه وهي ميزة الشعر القديم (ظهور وجه الشبه) ,أما عند المحدثين فنلاحظ المباعدة في التشبيه فلا نفهم علاقة المشبه بالمشبه به إلا باستعمال الفكر لفك اللغز كتشبيه المحسوس بالمعنوي عند أبي تمام في قوله: كانوا برود زمانهم فتصدعوا فكأنما لبس الزمان الصوف وقد اتهم هؤلاء أبا تمام بعدم القدرة على الإبداع فاعتمد الصياغة كبديل على نضوب المعاني , حيث خرج على طبيعة الصورة الفنية حيث تعقدت الصور ( ربط أبو تمام بين الزمان والصوف مع عدم وجود أي علاقة مباشرة بينهما ) وفي المقابل اعتمد النقاد على التنظير بدل القراءة الواعية للشعر.

 ***تقييم و نقد:***  *- يبدو أن وراء تأسيس هذا العمود ظروفا و دوافع بيئية و حضارية*

*و شخصية إذ أصاب الشعر تغيير كبير في العصر العباسي تجلى في الموضوعات*

 *و جزئيات القصيدة حيث أن البيئة الجديدة فرضت تعبيرا جديدا و صياغة جديدة و لم يكن التبدل في وضع ألفاظ جديدة’ إنما كانت في دلالة هذه الألفاظ’ حيث كان أبو تماما مغرما بتجديد دلالة الألفاظ و استعمال ألفاظ بحروف متقاربة تنفر منها الأسماع’ و هو لم يأت بموضوعات جديدة (أغراض قديمة) و لم يخرج عن الوزن و القافية.*

*- اهتزت الصورة القديمة بفعل طريقة أبي تمام الذي ابتكر الأخيلة و الصور*

 *و الاستعارات و اخترق النظام البلاغي المحكم’ و هذه الهزة هي التي جعلت النقاد يبحثون عن مقاييس الشعر القديم للحفاظ عليها و فرضها على الشعراء’ و بينما تعصب آلامدي و ابن طباطبا للقديم دافع الصولى عن شعر أبي تمام و اعتبره النموذج الأمثل لروح العصر.*

 *و مهما يكن’ فان عمود الشعر يمثل الصراع الدائم بين المحافظين و المجددين’ و يعبر عن مرحلة من مراحل الصراع بين قوى* ***التغيير*** *و* ***الإبداع و قوى التعطيل و التقييد****’ و ظل النقد محافظا و قلما شجع التجارب الجديدة (التقليد/ الذاتية).*

 *- عمود الشعر هو محاولة لخنق الشعر الجديد و تقييده و هو يعني* ***المباشرة’*** *فهو**إيصال لا* ***إيحاء’*** *و**الشعراء الجدد ابتعدوا عن المباشرة بتجديد الصور و الألفاظ و توليد المعاني و كانوا يؤسسون**متلق جديد مغاير للمتلقي القديم.*

*- تنحصر مهمة القارئ عند الصورة المكررة’ فهو كسول لا يجتهد لفهم الشعر’ بينما يريد الشاعر المجدد أن يخلق قارئا مجتهدا متفاعلا مع النص أثناء عملية* ***القراء.***

*- عمود الشعر فرض على الشعراء أن يعبروا عن الحياة الجديدة بطرق قديمة’ و هو تقييد لحرية الشاعر و تحديد لأفكاره لما فيه من صرامة و شدة’ فهو يلغي الشعر الحديث و أي علم لا يقوم إلا بالقديم و الجديد.*

 *- التجويد في العلم و التمسك بالأبواب لا يعني التجويد في الشعر’ بدليل عدم تغلب الأصمعي و الكسائي و الخليل و المبرد ( و هم علماء بالشعر) في شعرهم على فطاحل الشعراء (غياب الموهبة أو الطبع)’ فالقراءة و المداومة و التطبيق و الموهبة كلها أمور جوهرية في تأسيس الشاعر’ و ليس هذه القواعد المفروضة عليه من خارج دائرة الإنتاج الفعلي.*

 *- أثبت التاريخ أن الأدب بلغ أجوده حين تحدي الناقد و تحكماتها’ فلو أطاع الأديب الناقد لما وجد الشعر الجديد و لما وجدت الدراما الشكسبيرية و لا الحركة الرومانسية و الرمزية ....الخ*

*.ف****:" العبقرية الخالقة تتقدم في الطريق كقائد و يتبعها النقد****" كما قال أحمد أمين و قلما تكون النتائج مرضية حين يتغير هذا الترتيب’ لأن الأدب الذي ينشأ ليطابق قواعد مرسومة مسبقا لابد أن يتميز بصيغة من الجمود و التقييد.*

*- إن التغيير سنة الحياة’ فبينما يميل النقاد إلى أن يجعلوا نظرياتهم متزمتة و حقائق مطلقة’ يتوق المبدعون إلى التحرر منها’ فتظهر الثورات التي تتبنى أفكارا جديدة ينشرها الجيل الجديد و يبالغ في الإيمان بها حتى تعود هي الأخرى نظريات جامدة فتقوم ثورات جديدة لإزاحتها و هكذا دواليك و لكن يجب أن نتذكر أن التجديد و الإبداع لا يكمن في الخروج عن التراث و رفضه كلية’كما أن النقد’ و إن كان وسيلة للتقييد’فهو وسيلة* ***للإرشاد*** *أيضا’* ***فالحرية*** *كثيرا ما تحولت إلى* ***فوضى*** *و**جموح و إباحية بدليل المبالغات التي تميز بها الشعر الحديث’ و التي كان يمكن أن تختفي لو اهتم المبدعون بقواعد النقد’ إذن و بالرغم من أن النقد يمكن أن يكون عائقا في وجه تقدم الأدب’ فلا يجب أن ننتقص من قيمته و من تأثيره كقوة منظمة.*